Coptology

صورة الله في الإنسان

عند العلَّامة مطران دمياط

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

مقدمة

في مايو ٢٠١٦ كتب الأنبا بيشـــوي مطران دمياط رداً على كتاب اللاهوت الأرثوذكسـي في القرن الحادي والعشـرين، نشـره على موقعه الرسمي، جاء في ص ٤ منه: "الإنسـان ليس هو صـورة الله، بل "على صـورة الله"، لقد خلق الله الإنسـان على صـورته. "على صـورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧)، أما المسـيح فهو الوحيد صـورة الله غير المنظور" (كو ١: ١٥). كيف يتجرأ أحد ويقول أن الإنسان غير مُدرَك؟! هذا ضلال شيطاني؟!".

وهكذا، بجرة قلم شـطب العلامة الأنبا بيشـوي كلمات سـفر التكوين حسـب العبرانية. ولكن بما أن المطران يؤمن بأن النص هو ما يصـنع الحقيقة، وأن ترجمة فان ديك هي بمثابة تنزيل؛ لذلك فهو لا يعرف لهذا الترجمة بديلاً، ولذلك كان سـهلٌ عليه الانزلاق في الأخطاء. وبمراجعة الأصـــل العبراني والترجمة اليونانية ندرك أن اســـتخدام «على» أو «في» لا يغيّر، لا المعنى ولا الحقيقة بالمرة:

– "على صورة الله" هي ترجمة فان ديك، **בְּצַלְמֹו**

– و"في صورة الله" هي الأصل العبراني: «خلق في صورة الله ومثاله» (تكوين ١: ٢٧ – **נַעֲשֶׂה אָדָם בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ וְיִרְדּוּ** – ب ص لام ميم).

وحســـب النص اليوناني في رســـالة يعقوب: "حســـب شـــبه الله – καθ Ομοιωσιν" (٣: ٩)، وعاد سـفر التكوين ليؤكد: "على صـورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧). حسب ما هو ثابت في الفقه الإسلامي النص يؤسِّس كل شيء، وحسب ما هو

ثابت في المسيحية الأرثوذكسية الحقيقة تسبق الحدث، وبالتالي الكلمة أيضاً، وعلى ذلك النص يعبر عن العلاقة؛ لأن تجسد ابن الله لم يكن نصاً، بل علاقةً وشركةً وحياةً عَبَّر عنها النص، ولذلك لا تؤخذ الحقيقة من النص، أو من النصوص، وإلا لماذا التجسد؟!

فالإنسان صورة الله لأنه دُعي إلى حياة أسمى من الحياة البيولوجية.

ونلاحظ أن نيافته أهمل كلمة «مثال»، والمثال تعني أن الله «أعطاهم، أي البشر شركة في قوة كلمته» (تجسد الكلمة ٣: ٣) بل هكذا كتب العظيم أثناسيوس: «الإنسان فانٍ بطبيعته لأنه خُلِق من العدم، إلا أنه بسبب خلقته على صورة الله الكائن، كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي" (تجسد الكلمة ٤: ٦) وحسب الأصل اليوناني لنص أثناسيوس: "κατά εἰκόνα – حسب صورته".

نفي "الصورة" حسب الترجمة:

لا يُنقذ نيافته الاحتماء بأي ترجمة، ولا حتى بالعودة إلى الأصل العبراني أو اليوناني؛ لأن الجدير بالبحث هو لماذا وردت كلمة "صورة"؟ النفي حسب الترجمة لا يشرح سبب استخدام كلمة "صورة"، وهي مرادف لكلمة «مثال»؛ لأن الإنسان أُعطى حياةً إلهية تجعله مثل ظل الكلمة أو اللوغوس (تجسد الكلمة ٣: ٣). وتأكيد أن الرب هو «صورة الله غير المنظور" هو تأكيدٌ سليم، ولكنه كُتب من أجل نفي خلق الإنسان على صورة الله. منهج النفي هذا أخذه نيافته عن الأنبا شنودة الثالث الذي كان ينفي ما يتعارض مع فكره بأسلوب ساخر أحياناً، مثل لو كانت الكنيسة جسد المسيح، فهل تسجد الكنيسة لنفسها حسب كلمات القداس، أو هل تأكل الكنيسة نفسها، وعبارات أخرى مماثلة سبق أن تعرضنا لها في مقال نشرناه على موقع الدراسات القبطية بعنوان: «الكنيسة جسد المسيح ..».

الإيمان الذي يبدأ بالنفي هو مثل الشهادة الأولى «لا إله إلا الله»، وهو من ثوابت الدين الحنيف، لكن الايمان في المسيحية استعلانٌ، وليس نفياً. وذلك ليس لأن

الاستعلان هو فقط ضد النفي، بل لأن الاستعلان دائماً إيجابي: «أنا هو الطريق والحق والحياة»، أو: «الذي رأيناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة» (١يوحنا ١: ١-٣)، أو عبارة رسول المسيح: «الايمان هو الثقة بما يُرجى والايقان بما هو غير مرئي أو بأمور لا تُرى. بالإيمان نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله ..." (عب ١١: ١-٣)، و"الفهم" المشار إليه في النص السابق، ليس سلباً أو نفياً؛ لأن التجسد لا ينفي إلا في حالة واحدة، وهي نفي التعليم الأوطاخي، أو نفي إنكار اتحاد الطبيعتين "بلا اختلاط أو امتزاج أو تغيير"، ومع ذلك فقد جاء نفي شُبهات الإنكار بما هو إيجابي، أي لم يحدث اختلاط، بل اتحاد، ولم يتغير اللاهوت إلى ناسوت حسب أي نصوص أخرى تتعارض مع الإيمان المسيحي.

التعدد ليس رقماً، بل تنوع الطبيعة الوالدة:

كتب رسول الرب: "الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح. **فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا نشترك في الجسد الواحد** (١كو ١٠: ١٧).

هل لاحظ القارئ عبارة "نحن خبزٌ واحد"، أم أن التأويل المعاصر سيضرب النص؟ ولكن ليست العبرة في النص، بل "نحن خبز واحد" لأن ابن الله تجسد وصلب وقام "لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢). وتأمل -عزيزي القارئ- اعتراض الأنبا شنودة الساخر: هل أخذ الرب يسوع جسد يهوذا وجسد قيافا .. الخ. ثم يسأل: وهل كل أعضاء الكنيسة قد ولدوا بغير أب مثل المسيح بعمل الروح القدس؟! هل صار للمسيح أخوة أشقاء بالملايين؟ (جسد المسيح ص ١١). حتما نحن نولد بدون أب في المعمودية بالروح القدس، وصرنا فعلاً أخوةً كثيرين حسب قول الرسول بولس في (رو ٨: ٢٩). ونلاحظ أن قداسته أضاف كلمة "أشقاء" من عنده لكي تزداد حلقة السخرية والاستنكار.

يقول الرسول: لأننا "مشابهين صورة ابنه" (رو ٨: ٢٩)، ونلاحظ هنا أن المشابهة هي في "الصورة" التي أنكر وجودها نيافة المطران، والشَّبَه ليس هو الأصل، بل هو "ملامح الأصل" مع تمايز الأشخاص. هذه الملامح هي:

- جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١).
- جسد عدم فساد (١كو ١٥: ٤٢).
- جسد القوة (١كو ١٥: ٤٣).
- جسداً روحانياً (١كو ١٥: ٤٤).

ومهما كان عدد البشر، فإن الرقم ليس هو المقياس أو المرجعية؛ لأننا يجب أن نقارن الروحيات بالروحيات حسب وصية رسول المسيح: "نحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يُعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات"، ثم أضاف الرسول: "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة" (١كو ١٢: ١٢-١٤). وكم حَكَمَ بعض الذين اختلسوا الأُسقفية بما هو حسب الإنسان الطبيعي؟ رحم الرب أُستاذنا الجليل بقطر شحاتة، الأستاذ السابق في تفسير الكتاب المقدس؛ لأنه نقل إلينا هذا التسليم الرسولي، الذي قدَّم لنا مقارنةً عن الانسان الطبيعي الذي يحكم بمنطق العالم، لا بقوة ومنطق الروح القدس القائم على مقارنة ما هو جديد بما هو جديد، إلى الروحيات بالروحيات، لا سيما هو قديم ومائت في الخلقة الأولى بالجديد في الخلقة الجديدة في المسيح يسوع.

المسيح صورة الله غير المنظور (كولوسي ١: ١٣-١٦):

هذا هو أساس تحديد الصورة الذي قدَّم الرسولي مثالاً عنه في (تجسد الكلمة فصل ١٤: ١-٢) وهو الصورة المرسومة على قماش ... ثم تلطخت هذه الصورة من

الخارج بالأقذار مما أدى إلى اختفاء ملامحها، ففي هذه الحالة لابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانيةً لكي يمكن إعادة تجديد الصورة على نفس قماش اللوحة .. بل يجدد الرسم عليه مرةً أخرى .. فقد أتى إلى عالمنا كلي القداسة ابن الآب، هو صورة الآب لكي يجدد الإنسان الذي خُلِقَ على مثاله (وليس "على صورته" حسب الأصل اليوناني رجع النص ص ١٦٦ الذي نشرته جامعة أوكسفورد Oxford Early Christian Texts, 1971) ويخلِّص ما قد هلك بغفران الخطايا". ثم يضيف القديس أثناسيوس إن الولادة من الله ليس كما ظن اليهود، ولادة من امرأة، بل "قصد التحدث عن ميلاد النفس **وتجديد خلقها حسب الصورة** κατά είκονα.

وعندما قدم الرسول بولس تأكيد ما هو خاص بالابن، فقد حدد عدة نقاط هامة تحتاج إلى دراسة (قادمة):

– الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور، والنور هو شركة الألوهة حسب تعبير رسول الرب يوحنا "الله نور وليس فيه "ظلمة بالمرة" (١يو ١: ٥).

– الذي أنقذنا من سلطان الظلمة (حسب فان ديك) (الفعل اليوناني يعني أيضاً حررنا)، وسلطان الظلمة هو الموت والدينونة.

– ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، وابن المحبة الأبوية لله الآب لا يجعل المحبة مجرد صفة، بل هي حياة الله الآب نفسه.

– الذي لنا (في المسيح ليس المسيح يسوع فكرة، بل أقنوم أي شخص) الفداء (وليس مجرد فدية دُفعت لله الآب) بدمه (أي بحياته الفاعلة فينا) غفران الخطايا وهو ليس مجرد العفو بل απολύτρων التحرر من سلطان الخطية.

– الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة وصورة الله غير المنظور هي "من رآني فقد رأى الآب"، و"أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠) هو استعلان الآب لنا

"أنا في الآب والآب فيَّ" (يوحنا ١٠: ٣٨)، والذين عرفوا يسوع صاروا أبناء النور (يو ١٢: ٣٦) لأنه هو نور العالم (يو ١٢: ٤٦).

– البكر ليس فقط البكر، بل "بكر كل خليقة"، وهو ليس من الخليقة كابن وكصورة الآب أو رسم جوهره [وحرفياً رسم أقنومه]" (عب ١: ٣٠) والتمييز "بين الجوهر والأقنوم" هو تميز لفظي دفاعي يعبِّر عن حقيقة أزلية (أزل سريانية الأصل وتعني عربياً ما هو أبدي)، ولأن الرسول كتب: "فيه خُلِقَ الكل"، وبعدها "الكل به وله قد خُلِق"، فهو ليس من هؤلاء الكل، أي العروش أم السيادات ... الخ" لأن فيه كانت الحياة"، وهو مصدر الحياة، هو البكر الوارث حسب التسليم العبراني لكل ما للآب، وهو ما نقله الرب إلينا "دفع إليَّ كلَّ سلطانٍ مما في السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٨). وحقاً هو البدء "متقدم علينا في كل شيء، ولكن نحن من ملئه جميعاً أخذنا والملء هو الكمال، ولا علاقة للملء بالمحدود أو غير المحدود، فهذا جهلٌ بمعنى كلمة "ملء"، ولذلك عندما كتب الرسول: "ونحن جميعنا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨)، ولأننا صورة الله فعلاً، فإننا نتغير إلى صورة المسيح نفسه "الصورة عينها".

كم هو مريعٌ أن نهدم الأساس الإلهي لحياة الدهر الآتي، ونتهور في الكلام على أنها حياة مخلوقة، كما سبق وأن أفتى نيافة المطران بأن الحياة الأبدية نفسها حياة مخلوقة، واضافة "مخلوق" إلى مخلوق، هي بلا فائدة وبلا قيمة؛ لأن تلك "الصورة عينها"، أي صورة الابن ليس مخلوقة إلا في الأريوسية.

اللعب بألفاظ الجر:

تلك لعبةٌ قديمة تكلم عنها القديس باسيليوس في كتابه الروح القدس، وهي لعبة سيادة النصوص التي لا تُفهم إلا من خلال العلاقة والاستعلان (سبق لنا أن نشرنا هذا الموضوع) وهي لعبة تفنن فيها الهراطقة، ولكن حروف وكلمات مثل: "على" أو "في" أو

"حسب"، و"حسب – κατά" هي كلمات يسمعها كل قبطي إذا سمع الإنجيل يقرأ باللغة القبطية؛ لأن الانجيل هو "حسب متى"، أو "حسب لوقا" .. الخ. و"حسب" لا تضير بالمرة الشهادة، كما أن "على" إذا قُدِّمَت كدليل على أن الانسان ليس صورة الله، فهي تحذف تجسد الله الكلمة كما مر بنا، وأظن أن نيافة العلَّامة –غفر الله له– لم يدرك هذا.

تُرى هل هناك أحد يمكنه أن يقدم نصيحة حكمة لنيافة الأنبا بيشوي؟ أتمنى ذلك له لخيره الخاص وخير أم الشهداء.

د. جورج حبيب بباوي